

سيرة الإمام الخميني ومنهجه في إحياء روح العزة الوطنية

المكان: طهران - مرقد الإمام الخميني قُدْسِهِ

الحضور: جموع غفيرة من أبناء الشعب الإيراني

التاريخ: ١٤/٣/١٣٩١ هـ ش - ١٣/٧/١٤٣٣ هـ ق - ٣/٦/٢٠١٢ م

المناسبة: ذكرى رحيل الإمام الخميني قُدْسِهِ عشية ذكرى ولادة الإمام علي عليه السلام

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله ربّ العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا وحيب قلوبنا وطبيب نفوسنا أبي القاسم المصطفى محمد وعلى آله الأطيبين الأطهرين، وصحبه المنتجبين المصطفين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. وصلّ على بقية الله في الأرضين الذي يملأ الله به الأرض قسطاً وعدلاً كما ملئت ظلماً وجوراً.

قال الله الحكيم في كتابه: بسم الله الرحمن الرحيم. ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ * الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقَلِّبُكَ فِي السَّاجِدِينَ * إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾^(١).

(١) سورة الشعراء، الآيات ٢١٧ - ٢٢٠.

نشكر الله على أن منّ علينا بفرصة أخرى لنجتمع مرة أخرى إلى جوار مرقد إمام هذه الأمة ورائدها وقائدها ومرشدها الكبير، وذلك من أجل تجديد العهد والبيعة مع هذا الإمام الجليل، ولنعيد قراءة سيرته ودروسه - التي هي دروس الثورة - ومن أجل إضاءة طريق مستقبلنا وتصحيح مسيرنا.

إنّ هذه الأيام تصادف العيد المبارك لولادة الإمام علي بن أبي طالب أمير المؤمنين (سلام الله عليه) وهو أبو هذه الأمة. لقد أطلق شعبنا على يوم الثالث عشر من رجب اسم «يوم الأب». وإمامنا الخميني الجليل له حقّ الأبوة في عنق هذا الشعب وهذا البلد. أبو الأمة يعني مظهر العطف والرحمة ومظهر الاقتدار والصلابة والشخصية؛ قوة الشخصية الأبوية إلى جانب المحبة والعطف الأبوي. بالإضافة إلى هذا فإن الإمام الخميني هو أبو النهضة الإسلامية في العالم الإسلامي اليوم. فمن الخطوط الرئيسية في سيرة الإمام الخميني ومنهجه ومما سوف نتطرق له اليوم ونتحدث عنه بعض الشيء بث روح العزة الوطنية في جسد الشعب. إن الكلام حول هذه الحركة العظيمة للإمام الخميني الذي أحيى العزة الوطنية في بلادنا ولدى شعبنا، كلام يستند إلى واقع المجتمع، وليس مجرد كلام ذهني بحت. ماذا تعني العزة؟ العزة معناها البنية الداخلية المتينة للفرد أو المجتمع التي تهبه الاقتدار في مواجهة الأعداء والعقبات، وتنصره على التحديات.

بداية أطرح بحثاً قرآنياً مختصراً. إنّ العزة الحقيقية والكاملة حسب المنطق القرآني هي لله ولكل من هو في الجبهة الإلهية. في المواجهة بين الحق والباطل وبين الجبهة الإلهية والجبهة الشيطانية، تكون العزة من نصيب الذين يتخذون في الجبهة الإلهية. هذا هو منطق القرآن الكريم. يقول عزّ وجلّ في سورة فاطر:

﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾^(٢). ويقول في سورة المنافقون: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٣) العزة لله، وللرسول وللمؤمنين.. مع أن المنافقين والكافرين لا يعون هذه الحقيقة ولا يفهمون أين العزة وأين هو قطب العزة الحقيقية. ففي سورة النساء يقول عن الذين يربطون أنفسهم بمراكز القوى الشيطانية من أجل نيل بعض المكانة والوجاهة والاقترار: ﴿أَيَتَنَعُونَ عِنْدَهُمُ الْعِزَّةُ فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾^(٤). متسائلًا هل يبحث عن العزة هؤلاء الذين يلجئون إلى خصم الله وإلى أعداء الله وإلى القوى المادية؟ فإن العزة عند الله. وفي سورة الشعراء يقدم القرآن الكريم تقريراً لمجموعة التحديات التي واجهت أنبياء الله العظام - كالنبي نوح والنبي إبراهيم والنبي هود والنبي صالح والنبي شعيب والنبي موسى - يتطرق بالتفصيل للتحديات التي واجهها هؤلاء الأنبياء الكبار ليوصل التقرير الإلهي الوحياني لأسماع الناس. قائلًا في كل مقطع يريد فيه التعبير عن غلبة جبهة النبوة على جبهة الكفر: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُّؤْمِنِينَ * وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾^(٥). أي مع أن الطرف المقابل كانوا هم الأكثرية، والسلطة والقوة بأيديهم، والمال بأيديهم، والسلاح بأيديهم، لكن جبهة التوحيد هي التي تنتصر عليهم، وهذه آية من آيات الله وربك هو العزيز الرحيم. وبعد أن يكرر القرآن

(٢) سورة فاطر، الآية ١٠.

(٣) سورة المنافقون، الآية ٨.

(٤) سورة النساء، الآية ١٣٩.

(٥) سورة الشعراء، الآيتان ١٢١ و ١٢٢.

الكريم هذا التقرير على طول سورة الشعراء المباركة، يخاطب الرسول الأكرم ﷺ في آخر السورة قائلاً: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾.. أي توكل واعتمد على الله العزيز الرحيم الذي يضمن انتصار الحق على الباطل.. ﴿الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ * وَتَقْلُبُكَ فِي السَّاجِدِينَ﴾.. إنه يرى حالك في حين القيام والسجود والعبادة والحركة والسعي والعمل.. إنه حاضر ناظر يراك.. ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾. إذن يجب طلب العزة من الله حسب منطق القرآن الكريم.

حينما تكون العزة من نصيب إنسان أو فرد أو مجتمع فإنها ستكون كالسور المتين من حوله بحيث يصعب على الأعداء التغلغل إليه ومحاصرته والقضاء عليه، وتصون الإنسان من توغل الأعداء غلبتهم عليه. وكلما كانت هذه العزة مترسخة في الطبقات الأعمق من وجود الفرد والمجتمع كلما كانت الحصانة والمناعة أكثر. ويصل الأمر إلى درجة أن الإنسان كما يصاب من تغلغل وغلبة الأعداء السياسيين والاقتصاديين، يصاب كذلك من تغلغل وتسرب العدو الأكبر والأصلي أي الشيطان. إما الذين يتمتعون بالعزة الظاهرية فلا تكون تلك العزة في داخلهم وإلى الطبقات العميقة من وجودهم، لذلك يبقون عزلاً بلا دفاع مقابل الشيطان.

من المعروف أن الاسكندر المقدوني كان يسير في طريق، والناس تنحني له. وكان هناك رجل عابد ورع مؤمن جالس في زاوية، فلم ينحن للاسكندر ولم يبد احتراماً ولم ينهض له. فتعجب الاسكندر وقال: أأتوني بهذا الرجل. فجاءوه به فقال له: لماذا لم تنحن أمامي؟ فأجاب: لأنك عبد لعيدي، فلماذا أنحني أمامك؟ فقال الاسكندر: وكيف؟ فأجابه الرجل: لأنك عبد شهواتك وغضبك،

والشهوات والغضب من عبيدي وتحت تصرفي وأنا سيدها.
وعليه فإذا تغلغت عزة النفس إلى الطبقات العميقة من وجود الإنسان،
عندها لن يؤثر الشيطان ولا أهواء النفس على الإنسان، ولن تحول الشهوات
والغضب الإنسان إلى العوبة بيدها.

وهكذا عرفنا الإمام الخميني. كان الإمام الخميني طوال حياته، سواء في
مجال العلوم والتدريس، أو في فترات الكفاح العسير، أو في ميدان الإدارة
والحكم - يوم كان على رأس البلاد وييده إدارة المجتمع - كان في جميع هذه
الأطوار والمجالات مصداقاً لـ ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ﴾. ولهذا غدت
الأمر والأعمال الكبيرة التي كان الجميع يقولون عنها إنها مستحيلة، غدت
ممكنة بطلوع الإمام. وتحطمت بظهور الإمام الخميني كل السدود التي كان
يقال إنها لا تتحطم. فضلاً عن أنه كان بنفسه مظهر عزة النفس والاقتدار
المعنوي، فقد بث روح العزة في الشعب. هذا هو الإنجاز الكبير للإمام الخميني
الجليل، وسوف أعود وأدلي ببعض الإيضاحات حول هذه النقطة. وشعبنا
استطاع اكتشاف نفسه بما تعلمه من دروس الثورة والإمام من شعور بالعزة. لقد
اكتشف الشعب نفسه واكتشف قدراته، ولهذا شاهدنا بأعيننا طوال هذه العقود
الكثير من حالات تحقق الوعود الإلهية.. فالأشياء التي قرأناها في التاريخ
والكتب شاهدناها مقابل أعيننا، فقد شاهدنا انتصار المستضعفين على
المستكبرين، وهشاشة قصور المستكبرين الرصينة في ظاهرها، والكثير من
الأحداث الأخرى طوال هذه الأعوام.

أريد التشديد على قضية «العزة الوطنية» لأصل منها إلى النقطة المتوخاة. لأنّ اليوم يوم عظيم. إنها ذكرى رحيل مؤسس الجمهورية الإسلامية الإيرانية. لقد أضحى ذكر إمامنا الخميني الجليل اليوم أكثر وأعلى من أي يوم مضى. وتراثه المبارك موجود اليوم في هذا البلد وفي العالم الإسلامي مقابل أعين الجميع. ولنؤكد على بعض الأبعاد في هذه الحركة.

العزة الوطنية.. لقد مررنا نحن الإيرانيين على مدى تاريخنا الطويل بحقب وفترات مختلفة.. وكان لنا عزتنا وذلتنا.. ولكن على مدى الحقبة الطويلة التي امتدت لمائتي عام وانتهت بالثورة عشنا فترة عصيبة مظلمة من الذل. الكثيرون غير مطلعين على التاريخ، والكثيرون ينظرون في التاريخ على وجه العجلة والسرعة. يجب التعمق في التاريخ واستلهام الدروس منه. لقد مررنا طوال هذه الأعوام المائتين بفترة مظلمة من الذل. ومؤشرات هذا الذل كثيرة. على الصعيد السياسي كنا على مدى هذه الحقبة شعباً منعزلاً، ولم يكن لنا أي تأثير في تفاعلات منطقتنا، ناهيك عن تفاعلات العالم. خلال حقبة المائتي عام هذه ظهر الاستعمار، وتدفقت الحكومات المستعمرة إلى منطقتنا من أقصى نقاط العالم، واستولت على بعض البلدان، وأوقعت بعض الشعوب في الأسر، ونهبت مصادر الثروة لدى بعض الأمم. لقد كانتا الحكومة والشعب في إيران طوال هذين القرنين ينظران للأحداث في غفلة، بل ربما لا يطلعان على بعض الأحداث، ناهيك عن أن يريدوا التدخل والتأثير في هذه الأحداث. وفي مجال الاقتصاد كان وضعنا يسير يوماً بعد يوم نحو مزيد من الانحطاط. وعلى صعيد العلوم والتقنيات كنا متخلفين تماماً، ولم يكن لنا أي مكسب علمي ملحوظ يمكن

عرضه مقابل الحركة العلمية الهائلة في العالم. وفي ميدان السياسة الداخلية كنا خاضعين لسياسات الأجانب.

كان المستعمرون والقوى العالمية المسيطرة تؤثر على حكوماتنا، وتجربها ذات اليمين وذات الشمال، وتفرض عليها ما تفرض، وتنتزع منها ما تريد، ولا يصدر عن حكوماتنا وملوكنا وقوانا المسيطرة أية ردود أفعال إنسانية مناسبة باعثة على الفخر. حتى على صعيد صيانة وحدة أراضي البلد وصيانة سيادة الحكومات شاهدنا وجربنا طوال هذه الحقبة الممتدة لمائتي عام ضعفاً مخجلاً. وخلال هذه الحقبة كانت هناك معاهدة تركمنچاي المذلة ومن قبلها معاهدة گلستان. فصلوا ١٧ مدينة في القوقاز عن إيران. وخلال هذه المائتي عام احتلوا مدينة بوشهر دون أدنى مقاومة من قبل الحكومة ورجالها. وفي هذه الفترة جاءت دولة أجنبية إلى قزوین وضربت مخيمها العسكري هناك وهددت الحكومة المركزية في طهران أن عليكم القيام بكذا وكذا وطرد فلان وفلان، وإلا هاجمنا العاصمة طهران. أي إنهم تقدموا حتى قزوین وهددوا طهران، وكان الحكومة المركزية في طهران ترتعد من الخوف. ولو لا شخصيات نادرة لاستسلمت الحكومة بالتأكيد للمهلة التي أعطتها تلك الدولة الأجنبية. وفي تلك الحقبة جاءت الدولة البريطانية وأوجدت الحكم البهلوي في إيران، واختاروا رضا خان ورفعوه من موضعه الواطئ الذي كان فيه إلى درجة ملك البلاد، وجعلوا ملوكيته وتوحيجه قانوناً في البلاد، وسلموه كل أمور البلاد، وكان هو بدوره في قبضتهم وتحت تصرفهم. وفي هذه الفترة عقدت معاهدة ١٢٩٩ -

١٩١٩م - المخزية، التي يوضع بموجبها اقتصاد البلد في أيدي الأجانب وتكون سياسة البلد واقتصاده بيد أعداء إيران تماماً. وفي هذه الفترة جاء رؤساء ثلاثة بلدان متحالفة في الحرب إلى طهران، ومن دون أن يحصلوا على ترخيص من الحكومة الإيرانية، ودون أن يكتثروا أدنى اكتراث للحكومة المركزية، عقدوا اجتماعاً هنا.. روزفلت وتشرشل واستالين جاءوا برغبة منهم إلى طهران وعقدوا اجتماعاً. ولم يحصلوا على ترخيص من أحد، ولا عرضوا جوازات سفرهم على أحد. كان محمد رضا ملك إيران آنذاك فلم يأبھوا له أبداً، ولم يذهبوا لزيارته وللقائه، بل ذهب هو للقائهم، ودخل الغرفة فلم ينهضوا له ولم يعبئوا به! لاحظوا ذلة الحكومة المركزية حينما تنهمر على الشعب إلى أين يمكن أن تفضي؟ هذا هو حضيض ذلة حكومة وشعب. كان هذا خلال حقبة المائتي عام. وطبعاً كانت هناك بعض الاستثناءات.. مثلاً تولي الأمور أمير كبير لمدة ثلاثة أعوام. أو فتوى الميرزا الشيرازي الكبير التي استطاعت أن تفصل في قضية التباك. أو تدخل العلماء في أحداث المشروطة. أو نهضة تأميم النفط التي انطلقت خلال فترة معينة. كل هذه حالات استمرت لفترات قصيرة ومؤقتة ولم يكتب لها النجاح الدائم. وكان السياق العام والمسار الكلي هو مسار الذل الذي فرض على هذا الشعب الكبير الصانع للتاريخ.. هذا الشعب صاحب التراث التاريخي الهائل.

ولقد غيرت الثورة الإسلامية الكبرى الاتجاه تماماً وقلبت الصفحة. وتركزت همّة الإمام الخميني - الذي كان قائد هذه الثورة وربّان سفيتها ورائدها

ومرشدتها - على إحياء روح العزة الوطنية لدى هذا الشعب، فقد أعاد لهم عزتهم. الإمام الخميني أجرى على ألسن الجماهير ثقافة «نحن قادرون» وكرّسها في قلوبهم. إنها الثقافة القرآنية التي تقول: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٦). الإيمان نفسه يعني العلوّ والرفعة. الإيمان سبب في العلوّ المادي، ولكن ليس هذا وحسب، بل الإيمان نفسه يبعث على العلوّ والعزة ويؤدي إلى رشد الشعب. تقدم الإمام الخميني نفسه إلى الأمام وقاد المسيرة وعندها تفتحت المحفزات لدى الناس واستيقظت، وتفجّرت المواهب وفارت، وأدى عمل الناس ومشاركتهم في الساحة إلى استنزال الرحمة الإلهية. هذه نقطة عظيمة جداً. الرحمة الإلهية واسعة، ولكن ما لم يعد الإنسان وعاءه فإن أقطار الرحمة هذه لن تهطل. لقد نزل شعبنا إلى الساحة وتواجد في وسط الميدان، وكان هذا تمهيداً للرحمة والهداية الإلهية. فشملته الهداية والرحمة الإلهية، وانطلقت الحركة دون توقف.. الحركة نحو العزة وإلى الأمام. وبالطبع فقد كانت هذه الحركة سريعة أحياناً وبطيئة أحياناً أخرى لكنها لم تتوقف ولم تتعطل.

حينما تلاحظون الأدبيات الثورية للإمام الخميني ترون أن تشديده الرئيسي منصبّ على البنية الداخلية للشعب، وإحياء روح العزة لا بالتفاخر ولا بالغرور ولا بالادعاءات، بل بتمتين البنية الداخلية. ما يجب أن نتنبّه له هو أن هذه القضية ليست مقطعية ومرحلية، بل هي عملية مستمرة ومتواصلة. على الشعب

(٦) سورة آل عمران، الآية ١٣٩.

مجابهة عوامل المراوحة والتوقف. ثمة عوامل تفرض التوقف على الإنسان الريادي والشعب الريادي. بعض هذه العوامل موجودة في داخلنا، وبعضها تمهيدات ومخططات العدو. إذا أردنا أن لا نصاب بالركود والذلة والتخلف والوضع الجهنمي الذي عشناه قبل الثورة، فيجب على حركتنا أن لا تتوقف. هنا نكون أمام مفهوم اسمه «التقدم». يجب أن نتقدم دائماً. هذه العزة الوطنية وهذه الرصانة الداخلية وهذه البنية المتينة يجب أن تتقدم إلى الأمام دوماً وتأخذ بأيدينا إلى الأمام. لقد سمّي هذا العقد عقد «التقدم والعدالة». والعدالة موجودة في قلب التقدم. والتقدم ليس مجرد التقدم في المظاهر المادية، بل في كل أبعاد حياة الإنسان، حيث تتوفر هناك الحرية والعدالة والسمو الأخلاقي والمعنوي.. هذه كلها موجودة في داخل مفهوم التقدم. وطبعاً يوجد فيه أيضاً التقدم المادي والتقدم في مظاهر الحياة والتقدم العلمي. لقد وضعنا الإمام الخميني بتحريكه على طريق ينبغي أن نتقدم فيه إلى الأمام. أي توقف في هذا الطريق سيرجعنا إلى الوراء. إنَّ الشعب المتمتع بحقيقة العزة، والسائر على طريق التقدم إذا كفر بهذه النعمة فسيكون مصداقاً للآية الشريفة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَةَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾^(٧). سوف يتبدل العالم إلى جحيم مرة أخرى، وتعود الحياة مريرة. إذا لم تصمد الشعوب ولم تتقدم إلى الأمام، فسوف تعاودهم صعوبات وظلمات عهد الذلة.

(٧) سورة إبراهيم، الآيتان ٢٨ و ٢٩ .

إننا في الوقت الراهن في إطار قضية العزة الوطنية والتقدم الناجم عنها أمام نموذج حي. لقد قلت إن كلامنا ليس بالكلام الذهني البحت، إنما هناك أماننا نموذج حي هو نفس هذا الشعب وهذا المجتمع. إنه نموذج مجرب وخارج من الامتحان بنجاح. لقد دخل الشعب الإيراني الساحة بهذا النموذج. وسوف أشير إلى أمثلة ونماذج من تقدم الشعب الإيراني، وكل واحد من هذه النماذج له شروحه المفصلة ومصاديقه المتعددة.

نموذج من تقدم الشعب الإيراني هو الغلبة على كل التحديات السياسية والعسكرية والأمنية والاقتصادية طوال هذه الأعوام الثلاثة والثلاثين. كان هدفهم من هذه التحديات التي خلقوها لنا القضاء على وجود النظام الإسلامي واستهدافه بهجماتهم. وقد انتصر الشعب على كل هذه التحديات. على هذا الصعيد، يوم كان العالم بيد الشرق والغرب انتصر الشعب الإيراني على الشرق والغرب. واليوم حيث العالم حسب الظاهر بيد الغرب الضالّ استطاع الشعب الإيراني الانتصار على هذا الغرب الضالّ.

نموذج آخر من تقدم الشعب الإيراني هو أن هذا الشعب اليوم أقوى بكثير مما كان عليه في بداية الثورة من حيث الاقتدار السياسي، والتأثير في تطورات العالم، والتواجد في تفاعلات المنطقة بل سائر مناطق العالم. ولهذه المسألة مصاديقها وشواهدا، وهي مما يعترف به الأعداء. يعترف أحد زعماء الكيان الصهيوني الزائف وهو العدو الأول للشعب والثورة في إيران فيقول - وهذه عين عبارته -: إنه توجد اليوم قوة قوية تتحرك بخلاف اتجاه أهدافنا، وإيران

تمسك بزمام قيادة هذه القوة. يعترف هذا السياسي البائس المتحير ويقول إن الخميني يضرب خيامه خلف حدودنا! وكذلك قام سياسي أمريكي مخضرم معروف ونحن على اطلاع تام بحاله، في أحد الاجتماعات يقارن بين أمريكا سنة ٢٠٠١ ميلادي وأمريكا سنة ٢٠١١ للميلاد فيقول - وهذا الكلام كله يعود للشهرين أو الثلاثة الأخيرة - أي مجنون بدّل وضع أمريكا ذات القوة العظمى في بداية الألفية إلى الظروف المؤسفة لأمريكا في سنة ٢٠١١؟ ثم يقول: هذه التحولات التي وقعت وأفضت إلى هذا الوضع كانت إيران هي المثيره والمحفزة لها. معنى هذه الجملات هو أن الشعب الإيراني في الوقت الحاضر استطاع من خلال تواجده وحضوره واستقامته وعزته وصلابته، ترك هذه التأثيرات العميقة على أحداث العالم والمنطقة المهمة. هذا بدوره مؤشر من مؤشرات التقدم، وكما ذكرت فهو مؤشر عيني أمام أعيننا.

ومؤشر آخر هو حجم الخدمات العمرانية في هذا البلد الواسع. إنّ بوسعكم اليوم مشاهدة الخدمات العمرانية والبناء بالمعنى الواسع للكلمة في كل أنحاء وجوانب هذا البلد، وهي خدمات تزداد سنة بعد أخرى. وهذا من جملة المؤشرات المهمة لتقدم شعب من الشعوب. ومن جملة مؤشرات التقدم أن أعقد التصاميم والأجهزة الصناعية والهياكل الهندسية ومعامل الفولاذ ومحطات الطاقة والمشاريع الكبرى التي يتم إنجازها في هذا البلد تجري كلها على يد المتخصصين والشباب الإيرانيين بعد الثورة. إننا اليوم في غنى تام عن المتخصصين الأجانب في الكثير من المشاريع والأعمال المهمة التي يجري إنجازها في هذا البلد. هذا البلد الذي كانوا لو أرادوا تبليط شارع أو مدّ جسر

في شارع وجب عليهم استدعاء أشخاص من الخارج، ينجز اليوم أعمالاً كبرى وهياكل هندسية هائلة ومشاريع معقدة. والذي ينجزها هم هؤلاء الشباب الذين نشأوا وترعرعوا في أجواء الثورة، وراحوا يتحملون الأعباء على عواتقهم.

ومؤشر آخر هو السرعة العلمية في البلاد - وهذا ما أعلن عنه وذكر مراراً - فالإنتاجات المعروضة والرتبة العلمية للبلاد في سنة ٢٠١١ ميلادية.. هذه كلها مفاخر. وهذه ليست أحكامنا وأقوالنا وتقييماتنا. إنما هي تقييمات المراكز العلمية الرسمية في العالم، فهي التي تقول ذلك. يقولون إن النمو العلمي في إيران أكثر من المتوسط العالمي بأحد عشر ضعفاً. وقد سجل هذا النمو والتطور العلمي سنة ٢٠١١ نمواً بمقدار عشرين بالمائة قياساً إلى العام الذي سبقه. هذا ما يقولونه هم. وفي بعض المجالات مثل المجال النووي ومجال النانو والخلايا الجذعية والفضاء وتقنيات الأحياء فإن وضعنا متألق. الأعمال والمشاريع التي يتم إنجازها أعمال متألفة لا يوجد منها في العالم إلا حالات مماثلة معدودة. بعض هذه الأعمال والإنجازات لا توجد بين كل هذا العدد من بلدان العالم - البلدان التي تسمى متطورة وغير متطورة - إلا في خمسة بلدان أو عشرة بلدان أو خمسة عشر بلداً. وهم لا يقدمون لنا أية مساعدة علمية. أبواب المراكز العلمية المتقدمة في العالم مغلقة بوجه طلابنا.. إنما تفجر هذا ونبع من الداخل. وأقول في الهامش هنا إن هذا الحظر الذي يفرضونه هو أكبر مساعدة لنا في هذا المجال.

ومن مظاهر التقدم ونماذجه ومؤشراته، هي الديمقراطية الإسلامية. وهي نقطة على جانب كبير من الأهمية وينبغي الاهتمام لها. لقد كانت لنا انتخابات حماسية وملحمية في هذا البلد. انتخابات رئاسة الجمهورية في دوراتها

المختلفة، وأعظمها الدورة العاشرة قبل ثلاث سنوات. وكذلك انتخابات مجلس الشورى الإسلامي. وقد كانت لنا تسع دورات تشريعية في البلاد، وقد افتتحت كل هذه الدورات التسعة في يوم السابع من خرداد دون تأخير حتى ليوم واحد. فهل هذا بالشيء القليل الصغير؟ طوال ثلاثة وثلاثين عاماً تقام تسعة دورات من انتخابات مجلس الشورى الإسلامي، وتشكل تسعة مجالس شورى إسلامية من دون تأخير حتى ليوم واحد. ما من حدث سياسي أو أممي أو اقتصادي ولا تهديدات الأعداء استطاع تأخير الانتخابات حتى ليوم واحد. ففي جميع الدورات كان تشكيل المجلس الجديد في اليوم السابع من خرداد.

الحالة الأخرى هو المحفزات والشعارات الثورية للشعب. لاحظوا احتفالات ذكرى الثورات في العالم كيف تقام في البلدان. يقيمون مراسم رسمية ويجمعون عدداً من الشخصيات في محلّ معين، وقد تخرج القوات المسلحة باستعراض عسكري. وفي إيران تقام ذكرى انتصار الثورة - أي الثاني والعشرين من بهمن - من قبل الملايين من أبناء الشعب في كل أنحاء البلاد بكل رغبة وشوق، والشوق والعظمة والحماس في كل سنة يتعاضم قياساً إلى السنة السابقة. هذا مؤشر حياة هذا الشعب وتقدمه نحو أهداف الثورة.

وكذا الحال بالنسبة لتهديب الروح وتطهيرها. البعض ينظرون للظواهر فيرون بعض الشباب أو بعض النساء أو الرجال يقومون ببعض بالمخالفات فيصدرون على الفور أحكاماً وتقييمات عامة.. هذا خطأ. الناس يهتمون للمعنويات. اذهبوا هذه الأيام للمساجد في الجامعات وانظروا ماذا هناك في أيام الاعتكاف هذه.

منذ الغد ويذهب شبابنا للاعتكاف في المساجد. من أكثر مراكز الاعتكاف زحاماً وأشدّها حرارة وحماساً هي مساجد الجامعات، ما عدا المساجد العامة والكبرى التي يشارك فيها الجميع. هذا مؤشر حركة عامة باتجاه المعنوية. عن هذا الطريق نستطيع التشخيص والحكم وتقييم بلدنا وشعبنا بأنه في حال تقدم إلى الأمام. البلد يتقدم إلى الأمام على كل الأصعدة والأبعاد، والكل تحت راية الإسلام وفي ظل الدعوة الإلهية لهذا الرجل الكبير والإنسان الرفيع والنائب الحقيقي للأنبياء والأولياء الإلهيين. هذا الرجل الكبير فتح الطريق أمام شعبنا.

الأوساط السياسية والإعلامية في العالم تتحدث عن خطر إيران النووية، وتقول إن إيران النووية خطراً! وأقول إنهم يكذبون ويخادعون. ما يخافونه ويجب أن يخافوه ليس إيران النووية، بل إيران الإسلامية. إيران الإسلامية هي التي بثت الزلازل في أركان القوى الاستكبارية. لقد أثبت الشعب الإيراني أن الشعب يستطيع ومن دون الاعتماد على أمريكا ومن دون التوكؤ على القوى المتشدقة، بل ومع معاداة أمريكا وهذه القوى في العالم، أن يحقق التقدم الحقيقي. وهذا درس.. وهم يخافون من هذا الدرس. إنهم يريدون إقناع الشعوب والنخبة السياسيين أنه لا يمكن التقدم من دون مساعدة أمريكا وخارج دائرة النفوذ الأمريكي. وقد أثبت الشعب الإيراني أنه يمكن التقدم من دون أمريكا وحتى مع مخاصمة أمريكا. هذا درس كبير، وهم يخافون منه.

وأقول آخر ما أريد أن أقوله في هذا الصدد.. أعزائي، أيها الشباب الأعزاء، أيها الشعب المؤمن المتدين.. نعم.. لقد سجلنا رقماً قياسياً وتقدمنا إلى الأمام، لكننا إذا رضىنا واقتنعنا بما حققناه لحد الآن فسوف نهزم. وإذا توقفنا فسوف

نرجع إلى الوراء. وإذا أصابنا الغرور والعجب والانبهار بالذات فسوف نسقط أرضاً. فلو أننا نحن المسؤولون في البلاد - وهذا ما يتعلق بنا نحن المسؤولون خصوصاً - إذا أصبنا بالأنانية والتكبر والرجسية فسوف نتلقى الصفعات والضربات. هكذا هو العالم والدنيا والسنة الإلهية. يجب أن لا نلهث وراء كسب الشعبية والملذات الدنيوية والارستقراطية والبهرجة. علينا نحن المسؤولين أن نصون أنفسنا، كما صان هذا الرجل الكبير نفسه. إذا وقعنا في الخطأ هنا فسنكون مصداقاً للآية الكريمة: ﴿وَأَحْلَوْا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ * جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾.

الوقوف ممنوع في طريق التقدم.. والانبهار بالذات ممنوع.. والغفلة ممنوعة. والنزعة الارستقراطية ممنوعة. والسعي وراء الملذات ممنوعة. ومن الممنوع على المسؤولين التفكير بجمع زخارف الدنيا. بهذه الممنوعات يمكننا الوصول إلى القمة. إننا نسير على السفح ولم نصل إلى القمة بعد، وتفصلنا عنها مسافة. يوم يصل الشعب الإيراني إلى القمة سوف تنتهي حالات الخصام. يوم يصل الشعب الإيراني إلى القمة سوف تنتهي حالات المعارضة والخصام الخبيثة. وأمامنا مسافة حتى ذلك اليوم. يجب مواصلة المسير دون توقف. أقول للشباب والمسؤولين والطلبة الجامعيين والعلماء الأجلاء والذين يقدرّون على التحدث للناس ويؤثرون في أذهانهم: علينا أن نواصل هذه الحركة نحو التقدم من دون توقف، سواء في مجال السياسة أو في مجال العلوم والتقنيات، وخصوصاً في مجال الأخلاق والمعنوية. يجب أن نهذب أنفسنا ونصلحها ونعرف عيوبنا ونكون في صدد رفعها ومعالجتها. إذا فعلنا ذلك فسوف لن تؤثر هذه العقبات

التي يضعها الأعداء في طريقنا. وسوف لن يؤثر الحظر الاقتصادي. الحظر الاقتصادي لا يستطيع صدّ الشعب الإيراني عن المسير إلى الأمام. التأثير الوحيد الذي يتركه هذا الحظر الأحادي والمتعدد الأطراف على شعب إيران هو أنه يعمّق كراهية شعبنا وعداءه للغرب.

طيب، الكلام عن العزة الوطنية. حين تنظرون لهذه النهضة والثورات في المنطقة ترون أنها جميعاً مرتبطة بالعزة الوطنية. هذه الثورات من اليمن والبحرين إلى مصر وليبيا وتونس، وكذلك البلدان التي لا تزال نيراناً تحت الرماد، وسوف تلتهم في يوم من الأيام، محفزاتها كلها هي العودة إلى العزة الوطنية والعدالة الاجتماعية والحرية، وكل ذلك في ظل الإسلام. حين نقول إنها صحوة إسلامية فهذا كلام له أساسه وجذوره. الشعوب المسلمة تريد العدالة والحرية والديمقراطية والاهتمام بالهوية الإنسانية، وترى كل ذلك في الإسلام وليس في المدارس والمذاهب الأخرى، لأن المدارس الأخرى خرجت من الامتحانات والاختبارات فاشلة. ولا يمكن تحقيق هذه الأهداف من دون أسس فكرية. وهذا الأساس الفكري حسب إيمان الشعوب في المنطقة وعقيدتها هو الإسلام والصحة الإسلامية. هذه هي ماهية النهضة.

الغريون والحكومات التابعة للغرب في المنطقة يريدون تغيير حقيقة القضية وشكلها، ويريدون الإيحاء للرأي العام بشيء آخر، ولكن لا فائدة من ذلك. على الشخصيات المؤثرة أن تحذر وتدقق من الالتفاف عليها. والشعوب أيضاً يجب أن تحذر من الالتفاف عليها. لقد أنجزت الشعوب عملاً كبيراً، وقد تغير

المناخ السياسي والاجتماعي للمنطقة بنحو أساسي. وهذه حالة تتصل بالوقت الحاضر، فما بالك بما سيحدث في المستقبل. في الخطوة الأولى تغير المناخ السياسي في المنطقة. ونموذج ذلك أنه في مصر مثلاً حينما وصلت نهضة الشعب إلى نقطة الغليان والذروة حاول الكثير من الغربيون والحكومات المستبدة في المنطقة أن تدعم مبارك وتنقذه وتقمع الجماهير، ولكن بعد أن انتصرت الجماهير الآن راحت نفس هذه القوى وأشدّها استبداداً ودكتاتورية وذلة أمام الغربيين راحت تتحدث عن حقوق الشعب والديمقراطية! هذا معناه أن الديمقراطية تحولّت اليوم إلى عملة شائعة وشعار حتمي في المنطقة بحيث اضطر حتى الذين لم يكونوا على استعداد لأن يصل اسم الشعب وحقوقه لأسماع أحد، اضطروا من أجل كسب الرأي العام للتحدث عن الديمقراطية وحقوق الشعب !

قضية هذه الثورات مهمة جداً. وأؤكد على مصر، فمصر بلد كبير وشعب عريق ومنطقة أساسية في العالم الإسلامي، لكن الحكام الفاسدين والمرتزقة والمنحطين والأذلاء أذلوا شعب مصر وحولوا بلد مصر إلى كنز استراتيجي للكيان الصهيوني، وهذا تعبير أحد الزعماء الصهاينة. بلد مصر وشعب مصر العظيم حولوه إلى كنز للكيان الصهيوني الغاصب الزائف.. فهل مهانة أتعس من هذه؟ وقد سقط هذا الكنز الآن، وخرج عن متناول أيدي غاصبي بلد فلسطين. لقد ضمن نظام مبارك أمن إسرائيل لثلاثين سنة. بل كانوا على استعداد لحبس مليون ونصف المليون من أهالي غزة في سجن كبير. مليون ونصف المليون من

أهالي غزة كانوا تحت القصف الخيث للصهاينة، ومن جهة أخرى أغلقت عليهم كل طرق عبور المؤن الحيوية عبر مصر من قبل نظام حسني مبارك، وهذا شيء لن ينساه التاريخ.

في أيام حرب الـ ٢٢ يوماً قال أحد المجاهدين الفلسطينيين في حوار معه - في اليوم الذي كان يتحدث فيه - إنه منذ الأيام التسعة عشر التي مضت على الحرب لم نستطع استيراد حتى تسعة عشر كيلو غرام من القمح والدقيق من مصر! كانوا قد أغلقوا طريق نقل الطعام والأدوية وسائر المستلزمات والإمكانات في رفح، من أجل أن يجوعوا ويضغطوا على مليون ونصف المليون إنسان ويحبسوهم في السجن لصالح الكيان الصهيوني! وقد سقط هذا النظام الآن. وصار الكيان الصهيوني يشعر بالغرى والتخبط والحيرة. هذا الضجيج والصراخ الذي ينقل عن زعماء الصهاينة حيث يتحدثون عن عمل عسكري وهجوم عسكري كله دليل على فراغ أيديهم وفزعهم وحيرتهم.. يعلمون أنهم في هذه الظروف أضعف من أي وقت مضى، وأي خطوة عوجاء يتخذونها أو أي حركة غير مناسبة سوف تنهال على رؤوسهم كالصاعقة.

والغريون والأمريكان الذين كانوا دوماً سنداً للكيان الغاصب دون قيد أو شرط، هم اليوم متورطون أكثر من أي وقت آخر. الغرب اليوم يداري وضعه وعجزه بلطائف الحيل. لهم مشكلاتهم المالية والاقتصادية والاجتماعية، وهم عاجزون أمام شعوبهم. سقطت في أوروبا عدة حكومات مناصرة لأمريكا. وإذا وجدت الجماهير فسحة ومجالاً فسوف يبيدوا كل علامات الاستكبار الأمريكي في أوروبا بحضورهم

وتواجههم وقدرتهم. هذا هو وضعهم اليوم. وأمريكا نفسها أسوء من الجميع. الشعوب تكره أمريكا. وأمريكا في أزمة. طبعاً تريد أمريكا نقل هذه الأزمة إلى آسيا وأفريقيا والشرق الأوسط من خلال اختلاق الحوادث في باقي البلدان والمناطق، لكي يغطوا على ضعفهم. ومن جملة الأمور التي يريدون القيام بها تبديل هذه الثورات الشعبية العظيمة في المنطقة إلى أضدادها، وإلهاء الناس بالخلافات القومية والمذهبية والطائفية. فيجب أن نكون متيقظين واعين.

الأمريكان اليوم يستفيدون من تجربة الإنجليز في بث الخلافات المذهبية بين الشيعة والسنة. الإنجليز متخصصون في بث العداوات بين الفرق والجماعات بما في ذلك بين الشيعة والسنة في العالم الإسلامي. كان هذا عملهم واختصاصهم منذ مئات السنين. والأمريكان الآن يستفيدون من تجاربهم. تقع قضايا فلسطين وتحدث قضايا مصر، وبمجرد أن يواجهوا تحركات الشعوب يسارعون فوراً بشكل من الأشكال وبخدعة معينة إلى طرح القضية المذهبية الطائفية. الكل يجب أن يتحلوا باليقظة، السنة يجب أن يكونوا واعين يقظين، والشيعة أيضاً يجب أن يكونوا واعين، وعلماء الدين يجب أن يكونوا واعين، والنخب الجامعية يجب أن تكون واعية، وكل أبناء الشعوب يجب أن يتحلوا باليقظة والنباهة ويفهموا ما الذي يفعله أولئك، ويدركوا مؤامرات الأعداء ومخططاتهم، ولا يساعدوا هذه المخططات.. هذا ما يفعلونه اليوم.

طبعاً يرتكب الغربيون ومنهم الأمريكيان بعض الأعمال الجنونية.. يضخمون القضية النووية من أجل التغطية على أمورهم. يضعون القضية النووية الإيرانية

في صدر القضايا العالمية، والحال أن حقيقة المسألة ليست على هذا الشكل. يتحدثون عن السلاح النووي كذباً، ويضخمون أموراً ويعظمونها كذباً في الإعلام، وهدفهم صرف الأذهان والرأي العام عن الأحداث التي تجري في أمريكا نفسها وفي أوروبا نفسها. وطبعاً سوف لن ينجحوا.

نظرنا للمنطقة متفائلة. بلد مصر اليوم مشغول بقضاياها الداخلية، وهذه من طبيعة الثورات.. تقع أحداث يضطرون لحلها ومعالجتها، والشعب مشغول بها. توجد هذه الأحداث بعض الفراغ وتوفر لبعض البلدان الفرصة للتدخل في قضايا المنطقة تدخلات تروح لها أمريكا والغرب. ينفقون الأموال ويمارسون الأعمال والتحركات والزيارات بالنيابة عن أمريكا. لكن البلدان الثائرة وخصوصاً بلد مصر الكبير سوف تعود إلى الهدوء والاستقرار إن شاء الله، وتتغلب على المشكلات والأخاديع. لقد سقط النظام الدكتاتوري، وسوف تسقط أذناؤه وبقاياه إن شاء الله، وستتمكن الشعوب من ممارسة دورها.

وطبعاً يجب أن أقول هنا بصراحة في إطار أحداث المنطقة إن الشعب البحريني يعاني من مظلومية مضاعفة، إنه مظلوم حقاً. الشعب البحريني يجمع من قبل نظام مستبد ودكتاتوري بلا سبب ولا علة. اعتراضاتهم يردّ عليها بأعنف الأساليب، والحال أنهم ماذا يريدون؟ إنهم يطالبون بأول وأبسط الاحتياجات الإنسانية لبلد ديمقراطي، ولا يطالبون بالكثير. يطرحون هناك قضايا السنة والشيعة ويقولون إن هؤلاء شيعة.. القضية ليست قضية شيعة وسنة، إنما هي قضية شعب. واتفق أن هذا الشعب أو أكثريته البالغة سبعين بالمائة هم من الشيعة. لو كان سبعون بالمائة منهم

على مذهب آخر والحكام على مذهب آخر لكانت القضية نفس القضية ولا اختلاف في الأمر. البحرين شعب بمذهب معين - مذهب التشيع وأتباع أهل البيت (عليه السلام) - يواجه حكومة مستبدة. ليست القضية أن لهذه الحكومة مذهباً وللشعب مذهباً غيره. الشعب الإيراني جابه نظام الشاه الذي كان في ظاهره مسلماً وشيعياً ويزور مرقد الإمام الرضا. إذن، القضية ليست قضية شيعة وسنة. يأخذون القضية إلى حيز الخلافات الطائفية والمذهبية من أجل التكتم على حقوق الجماهير. ولكن سوف تصل كل حالات الجهاد ومصاديقه إلى نتائجها وثمارها إن شاء الله. ينبغي أن نحذر من تأجيج النيران القومية والطائفية والمذهبية. هذا هو ما نطلبه، وهذه هي نصيحتنا لكل أطراف القضايا.

نتمنى أن يمن الله تعالى بعونه وسوف يمن بعونه يقيناً. لا مرأى أن المستقبل سيكون بالنسبة للشعوب المسلمة والإسلام والمسلمين ولشعب إيران أفضل من الماضي.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.